على الشمسى باشا

لم يكن علىّ الشمْسى من يوم نشأته مَنكورَ المحلّ، وأولُ عهدِ الجمهور به يوم كان فى سويسرا يطلبُ العلوم العالية ، فكان طالبًا مُجدًّا متفوقًا، وكان إلى جانب ذلك حركةً وطنية قوية تدعو لمصر المضطهَدَة وتطلب لها الحرية فى صميم بلاد الحرية، ونعم كان الشمسى فى أوروبا أقوى صَدًى لصوت الحزب الوطنىّ فى مصر، وأتم تحصيلَ علومه ونال عُلْيا الشهادات من أكبر جامعات سويسرا، وعاد إلى بلاده فَظَن الناس أن «وظيفة» تُمهَّد فى الحكومة لهذا القادم الناجح الجديد، فإذا به يعدل إلى دار الحزب الوطنىّ وينتظم من فَوْره عضوًا فى مجلس إدارته، وهكذا كان الشمسى درسًا بليغًا فى التضحية خالصة لوجه الوطن، من حيث علَّم من لم يكن يعلَم أن التلميذ يتعلم فى مدارس مصر حتى إذا تاقت نفسُه إلى طلب العلم العالى هاجر إلى بلاد الغرب فلَبث سنين طوالاً بعيدًا عن أهله وأحبّ الناس إلى قلبه ، وأنفق ما شاء الله أن يُنفق من مال وعمر، وأدركه ما شاء طلبُ العلم من كدّ ذِهْن وإرهاق عصَب، حتى إذا بَرع وحاز أسمى الألقاب العلمية ؛ عاد إلى بلاده لا ليطلبَ بهذا كله عند الحكومة مُرتزقًا؛ ولكن ليطلب به «وظيفة» جُندىّ مجاهد فى سبيل الوطن!

وكان على الشمسى فى الحزب الوطنى قوةً كبيرةً لا فى جَهَارَة الصوت، ولا فى كثرة التَّرائى للجماهير، ولا فى سبب من أسباب الظهور؛ ولكنْ فى صحة الرأى وبُعد النظر وسلامة التدبير، حتى إذا بعَثَته ضرورةُ الحال للخَطَابة أسمع الناسَ كلامَ وطنى شديد الوطنية فى عبارات سياسى محَّصه العلم ومرَّسته تجارب الأيام.

وهنا يحلُو لى أن أقرّر ملاحظةً صغيرة: تلك أنه لم يكَد يخرج رجلٌ فينا إلى مَيْدان السياسة إلاّ جاز إليه بالحزب الوطنى والتشيّع بادئ الرأى

لمبادئه والوجه فى هذا على تقديرى أن الحزب الوطنى حزبُ الشباب حقًا، وأن مبادئه مبادئُ الشباب حقًا.

والشباب كلُّه حَدٌّ[1] وقوة: دمٌ فائر، وطَبعٌ ثائر، وخَيَالٌ طائر، وأملٌ لا يَتَحسَّب للصِّعاب، ولا ينخذل عن الاستشراف للغاية مهما عَزَّ الطِّلاب[2]:

إذا هَمَّ ألقىَ بينَ عينيه عَزْمَه   ونَكَّبَ عن ذكْر العَواقبِ جانبًا

وكلما عَلتَ السِّن عَدَا العقلُ على الخيَال، وقَصَّت التجاريبُ من حَوَافى الآمال، وطَالَ النظَر وكثُر الحساب، وتحيَّر الرأىُ فيما على طريق الغاية من عَوَاثيرَ وما فيها من عقاب[3] - إلى ما تُثلِّم السنُّ من القوة، وتُقَلِّم من أظفار الفُتُوة، وتُعجِز من تَلحَقه عن التطلُّع إلى الطَّفْرة، وتُطَامنُ من جماح أمله طلبًا للسلامة من العثرة. فاحكم أنت بعد هذا: أكانت فَترةُ الشيوخ عن صِحة تدبير وصدق حِساب، أم عن تراخٍ فى المُنَّة وعجز عن الوثاب؟!

وجاء الانتخابُ «للجمعية التشريعية» فظفِر على بك الشمسى بالعُضوية فيها عن مديرية الشرقية، ولا أدرى أكان ظَفَره بذاك، على شدّة التنافس وقسوة الخصومة السياسية، لإدراك الناخبين صدقَ وطنيته وما له من المواهب السامية، أم لأنهم إنما أخرجوه للنيابة عنهم لحسَبه وأَصَالة عِرقه وموضع بيته فى تلك البلاد؟.

على أنه ما كاد يتبوَّأ كرسيه فى «الجمعية التشريعية»، وكان أصغر أعضائها سِنًا، حتى انفَسَح له بين رجالاتها فى مكان الرأى والحكمة مكان خطير!

ودارت رَحَى الحرب العظمى؛ وظهر للسُّلطة القوية أن على الشمسى (من غير المرغوب فيهم) فكَفُّوه عن العَودة إلى بلاده؛ ويلبث فى ديار الغرب

---

(١) الحَدُّ: الحِدَّة.

(٢) الطِّلاب: الطَّلَب.

(٣) العِقاب هنا: جمع عَقَبة.

منفيًا طوال زمن الحرب، فاغتنم هو هذا النفىَ ليدعوَ فيه لمصر وليستزيد من فَضْل الوقت لطلب العلم فى أعظم جامعات الغرب.

وأراد الله وأُغمِد السَّيفُ ، وهتف هاتف السلام، وأُذِن (للمغضوب عليهم) فى العودة إلى بلادهم، فعاد على الشمسى لا ليستريح من ذلك النصَب الطويل، ولكن ليستقبل فى قضيَّة بلاده ذلك الجهادَ الطويل.

وشخَص الوفد المصرى إلى أوروبا فسُرْعانَ ما اتصل به على الشمسى، وظل يمدّه بجهوده ويصله بصادق الدعوة فى مواطن الدعوة، ثم انتظم فيه عضوًا.

وبعد، فأنت أخبرُ بمساعيه للوفد المصرى وبخاصةٍ فى بلاد الغرب، مما أجْدَى عليه بقوة ذكائه وعظيم اختباره ووثيق صلاته برجال السياسة هناك أعظم الجدوى .

ولقد حدّثتُك فى أول هذا المقال أن على الشمسى لم يكن من يوم نشأته مَنكورَ المحلّ؛ وإنما أردت بهذا عِلْم الناس بنشأته فى المجد والحَسب، وثقتهم بما له من شدّة فطنة وواسع علم؛ وإيمانهم بما أدْرك من اختبار وتمرين فى السياسة وصِدق جهاد فى الوطن؛ أما أنه يصلح لأن يكون وزيرًا، وفى وزارة المعارف، يضطلِع بتلك الإدارة الواسعة ويعالج أضخم مشكلة تعترض حياة البلاد، وهى مشكلة التعليم، فذلك ما كان محلَّ نظر كبير؛ إن لم أقل إنه كان موضع خوف كبير! حتى لقد سلَّم كثيرٌ من الناس الأمرَ له فى هذا وللزعماء تسليمًا ! وحتى قال بعض الصادقين المخلصين حين رأوا إجماع الزعماء على تقليد على بك الشمسى وزارة المعارف «اللهم إيمانًا كإيمانِ العجائز»!!

وأول ما ظُنَّ به أنه سينبعِث بهوَى السياسة وحدَها فى عمله الجديد،

فلا يَرى أثرًا إلا عفَّاهُ، ولا بناءً إلا هدمه ، ولا عملاً لأسلافه إلا نقَضه؛ ولكن على الشمسى لم يكن عِندَ رأى أحدٍ من أولئك المتعجِّلين جميعًا ! فقد ارتفع به علِمه عن أن يغير فى نُظُم التعليم لمجرّد الشهوة فى التغيير؛ وارتفعت به وطنيته عن أن يُغضب العِلم ليرُضى السياسة؛ وحين فارت فورة بعض أعضاء مجلس النواب على ما صنع سلفُه أبت على علىّ الشمسى كرامتُه وكرامة العلم عليه أن يشايع بظَهْر الغيب؛ بل لقد صارح القومَ بأنه لا يستطيع أن يحكم على عمل سلفه إلا بعد أن يُراجعه ويُصيب فيه مكان الرأى، فما كان منه خيرًا أثبته وأقره ، وما كان شرًا ردَّه إلى الخير، وأسرع لساعته فدعا بالأفذاذ من أقطاب العلماء وأهل البَصَر فى هذا الموضوع ، وألّف منهم (لجنة) برياسته لمراجعة نُظُم التعليم بجميع درجاته ووضْع الخُطَّة الحكيمة التى تُحقق فى العلم أمانىّ البلاد؛ وها هىَ تِى تعمل جاهدة فى هذه السبيل فلا تنتقل من خطوة إلى خطوة إلا بعد البحث وتقليب النظر وطول المراجعة؛ حتى لا ترسل خطوتها إلا إلى الثابت المطمئن، مستهديَة بالحكمة والاختبار وحاجة البلاد وطبيعة أهلها وما انتهى إليه رأىُ علماء التربية فى نُظُم التعليم، وإنا لنرجو الله تعالى أن يوفِّق هذه (اللجنة) فى مهمتها حتى تبلغ غايتها، وبهذا ندعو لعلى باشا الشمسى بتسجيل أبلغ فخر أثبَتَه التاريخ لوزير المعارف فى مصر.

وعلى باشا الشمسى رُجلٌ جمَ الأدب وافر التهذيب: يُروَى عنه أنه لا يَلقَى أصغر عمَّاله إلا باللطف والهَشاشة ؛ على أنه مع هذا شديدُ الحزم لا تأخذه هَوَادة فى مواطن الحق. يغار على عمله غَيرتَه على أوثَق أسبابه؛ فلا يدَع صغيرة ولا كبيرة من أعمال وزارته إلا سلط عليها ذكاءه وقلَّبها على كل نواحى الرأى ، فإن اجتمع فيها وجهُ المصلحة الخالصة أمضاها وأجازها؛ وإلا فلأمّ هوَى النفس وهوَى «الرجاء» الثكل.

وليت حكامنا جميعًا يصلبون على تقبُّل الشفاعات فى غير مواطن الحق، فإن الإفراط فى الرجاء أصبح من أعضل أدْوائنا الاجتماعية.

وإذا كان الحاكم عَدلاً صادقَ الولاية على عَمله فليس هناك معنى «للرجاء» عندَه إلا أن يُراد به العدول إلى الظلم وتعمُّد الخلاف للقانون! أرأيتَ مثلَ هذا إسفافًا فى الطِّباع وفُسُولةً فى الأخلاق؟!.. والعجَب أنه مع وضوح هذا كلِّه لجماعة المضطربين بفنُون الشفاعات عند الحكام فإن أكثرهم ليُطْلِقونَ ألسنتهم بمقالة السوء فيمن يعتصِم بالحق ولا ينحرف، طوعًا لشفاعاتهم، عن حكم القانون. وبهذا أصبح لا يستحق الحمدَ، فى شَرع هؤلاء إلا ظالمٌ متمرد على النظام!

وقال لى صديق من القُضاة يومًا وهو جَزِعٌ ثائر النفس: لا يغيظنى يا فلان قَدر أن يجيئنى الشفيع فى إحدى القضايا فلا يفتح عليه الإجرام إلا بأن يرجونى «أن أقضى فيها بالعدل» ! ومعنى هذا أننى لا أحكم فى أقضية سائر الناس إلا بالظلم! ولو سألنى أن أَقضِى فى شأن صاحبه بالظلم لكان ذلك أرفقَ بى وأدَلّ على أننى إذا أُرسِلت على طبعى لما عدَوْتُ مكانَ الحق!.

أقول ، لو صَلب الحكام جميعًا على تقبل الرجاء لما استكْفَوا الأذى فقط بل لطبعوا، على الأيام، كثرةَ الناس على حب الحق وإجلال القانون؛ وما أحوجَ بلادنَا فى نهضتها الكريمة إلى أن يتغلغل فى القلوب حب الحق وإجلال القانون.

ونعود إلى على باشا الشمسى فنقول إنه أظهر فى هذه الفترة التى قَبضَ فيها على زمام وزارة المعارف كلَّ مواهب الوزير العظيم القوىّ الذهن. النافذ الرأى ، الواثق بالنفس، والذى لا يجعل كلمته فى أسباب الحكم رهنًا بمنصبِه، بل يجعل منصبِه رَهنًا بكلمته.

وليس لتعليم على الشمسى فضلٌ كبير فى الحِرص على كلمته؛ بل إن أعظم الفضل فى ذاك لحُكم الوراثة ، فقد قال أبوه أمين باشا الشمسى أغنى تجار القطن من قبلُ كلمةً؛ وكان له أن يتحلل منها فلم يفعل، وخسِر فيها مئات آلاف الجنيهات. وهكذا إذا كان فى نُبل الكلمة خسارة فى المنصِب أو المال، فهى كل الربح يُحصيه التاريخ لعظماء الرجال.

وعلى باشا الشمسى شابٌّ متين الجسم مفتول العَضَل، أدنَى إلى القِصَر منه إلى الطول، أبيض اللون ، أزرق العينين؛ تسترعى نظرَك منه تلك الجبهةُ الواضحة العريضةُ التى تُمثِّل لك قاعدة مثلَّث ينتهى بأسفل ذقنه، وما إن راقك منه أدبه وشدّة وداعته فاطَّلعت منه على تلك الجبهة الهائلة إلا أحسَسْت أنه رجل خُلق للكِفاح والنِّضال.

وحدّثتُك أنه مفتول العضَل ؛ ذلك بأنه (Sport) حقًا فهو يُجيد السباحة وركوب الخيل والملاعبَة (بالشيش) ولا ينطوى عليه يوم إلا فَرضَ منه قِسطًا للألعاب الرياضية.

وإذا كان فى المصريين قوم قد أَسِفوا أولَ الأمر على تقليد على الشمسى وزارة المعارف فإن هؤلاء اليوم أشدُّ الناس أسفًا على أن الوزارة قد حُرِمَت هذه العبقرية من زمان طويل..

الحمد لله ! لم يبق إلا مائة ألف جنيه و خمسة آلاف
سهم بنك عقارى قديم حتى أنقطع إلى عبادة الله
والزهد فى الدنيا ! ...

الشيخ أبو الفضل الجيزاوى (1)

أَلاَ من شاء أن يَقْدُر مبلغ التطوُّر الذى دخل على رجال الدين عندنا (2) ويَعرِف مدى الطَّفْرة العظيمة التى طَفَروها فى سبيل الحضارة (والرقىّ)! فليسمع القصةَ الآتية :

حدّثنى الثقة الصادق أنه كان فى الأزهر من ستين أو سبعين سنةً عالمٌ جليل المقدار يدعى الشيخ الإسماعيلىّ، وكان يسكُن جامع المؤيد، وله تلميذ خاص، على عادة كبار العلماء فى ذلك الزمان، يقرأ بين يديه درسه إذا أقبل على حَلْقته، ويتلوه عليه إذا خلا لمذاكرته؛ ويعُينه إذا سعى ، ويصب له ماء وَضُوئه؛ ويحمل نعله إذا دخل المسجد إلخ ، وهذا التلميذ كان يدعى الشيخ حَسَنًا .

وكان الشيخ الإسماعيلى رجلاً شديد الزُّهد فى الدنيا قوىّ الرغبة عنها، لا يتعلَّق منها بسبب إلا ما كان من شأن دينه وتعليم طلبته، وكانت وظيفتُه كلَّ يوم بضعة رُغْفان يتبلَّغ بها وتلميذُه، وفى كل شهر ثلاثين قرشًا يَأْتِدم بها وصاحبُه ، ويتجمل بما فَضَل منها لسائر حاجاتهما. ويدعو أحدُ التجار ذلك الشيخَ ليتغذى عنده التماسًا لبركته فيأبى الشيخ ويعتذر، ويُلِحّ

---

(1) هو الشيخ الأكبر محمد أبو الفضل الورَّاقى الجيزاوى شيخ الجامع الأزهر، ولد فى وراق الحضر بإمبابة من أعمال الجيزة سنة ١٨٤٧، وتربى وتعلم فى الأزهر، وأذن له بالتدريس، واشتهر بتدريس المنطق والأصول، وعين شيخًا لمعهد الأسكندرية، وشيخًا للمالكية، ثم ولى مشيخة الأزهر، والمعاهد الدينية ، وظل شيخًا للمالكية إلى أن توفى سنة ١٩٢٧م. له تآليف منها « الطراز الحديث فى فن مصطلح الحديث» و «حاشية فى أصول الفقه» و«تحقيقات شرعية» . انظر الأعلام (٦/٣٣١).

(2) الأولى أن يقال : علماء الدين ، فالإسلام لايعرف كلمة «رجال الدين» وهو مصطلح دخيل علينا .

الرجل فى الدعوة فيُلِحّ الشيخ فى إبائه واعتذاره، فلما أَيِسَ الرجل من إسلاس الشيخ طلب وجه الحيلة فى الأمر فاختلى بالشيخ حسن وقال له : إذا رُضْتَ لى نَفْسَ الشيخ وقُدته إلى دارى ليُفطِر عندى فى رمضانَ، وقد أصبحوا من رمضان على أيام، اجْتَعَلْتُ لك على هذا نِحْيَيْن من السمن، وغِرَارتين من القمح ، وأربعةَ أعدال من السكر والصابون والشَّمْع والبن، فجمَع الشيخ حَسَنٌ كلّ عزمه وانصب على شيخه يقبِّل يديه ورجليه ويسأله ألا يخيِّب رجاء داعيه ، إذ الشيخ ما يزال فى نفوره ، وإبائه ، والشيخ يلِّح فى الاعتذار محتجًا بأنه ما زال فى (خزانته) خبزٌ كثير . ولما طال إلحاح التلميذ فَطَن الأستاذ إلى أن فى الأمر شيئًا فقال له : هل اجْتَعَل لك الرجُل على هذا جُعلاً؟ فقال: بلى يا مولاى ! لقد جعل لى كَيْتَ وكَيْتَ وأنا رجل، كما تعلم ، ذو زوجة وأولاد، وإنى أرجو أن أعود بهذا على شَمْلى وأوسِّع فى النفقة دهرًا على عيالى ؛ وحينئذ طابتْ نفسُ الشيخ الأكبر بإجابة الدعوة رحمة بعِيال الشيخ الأصغر، وعين يومًا من أيام رمضان ليُفطر فيه عند ذلك التاجر. ويطير عمّ الشيخ حسن إليه يبشره بقبول الشيخ. ويحتفِل الرجل للأمر فيدعو بأجود الطُّهاة ويتقدّم إليهم بطَهى أزكى الأطعمة ، كما يدعو لليوم المعين أعيان التجار والسرَاة وكل ذى خطر فى الحىّ ليَنْعَمُوا بطلعة الشيخ ويتشرّفوا بمؤاكلته . حتى إذا كان عصرُ ذلك اليوم لاحظ الشيخ حسن على أستاذه فتورًا وإغضاء وتَربُّد وجه وانقباضًا عن الحديث، حتى إذا تهيأت الشمسُ للنزول قال لصاحبه : هلمّ بنا . وانطلقا يطلُبان حىّ الجمالية ، مَثْوَى الداعى ، وما كادا يتشرفان على حارته حتى أبصرا علائم الزينة من بُنُود خافقة، وثريات آلِقة، ترتجف أثناء ذلك بَطَاطِيخ الزجاجِ فى ألوانها المختلفة، ورأيا كبار الأعيان وهم ميمِّون دار الداعى على أُتُنهم وبراذِينهم الفارِهة. فجَمَد الشيخ واصفرَّ وجهه وتَهدَّلتْ شَفته وأرعشت يداه وصاح فى تلميذه: كم اجتعَل لك الرجل يا شيخ؟ فقال: جعل لى كَيْتَ وكَيْتَ! قال : فكم يبلغ ثمنها؟ قال يا مولاى حولَ الاثْنَىَ عشر جنيهًا! قال : فقسّطها علىَّ كل شهر ثلاثين قرشًا !! ودار على مِحْوره وجرى طَلَقا إلى مثواه فى جامع المؤيد حيث يَبْسُط خِوانه مما ادّخر من الخبز فى (خزانته)!!

وفينا اليومَ علماءٌ كِبار، ولنا اليومَ شيخ إسلام جليل المقدار، لم يمنعهم علمُهم ، ولا دينهم ، ولا شدّة وَرَعِهم عن أن يفقهوا الدنيا ويجارُوها فى مظاهر حضارتها ورقيها حتى لا يُطلِقوا فينا القالة ولا يبعثوا الألسن بتنقُّص الدين والقول بأنه يدعو إلى الجُمود ومناهضة عوامل الرقىّ والتقدّم فى الدنيا إلى حدّ أن يُحيُوا ليلة القدر المباركة فى (دار الوكالة الإنجليزية فى شهر رمضان الماضى!) ولو قد رأيتهم يُهرولون فى (فروجياتهم) إلى دار الوكالة الإنجليزية إجابه لدعوة العميد وذكرت مرجعَ ذلك الشيخ الجامد وهَرَبه من تناول طعام لعله قد دخله ما لا يَحِلُّ - لعرفت حق العِرفان مبلغ التقدم الذى بلغه رجال الدين عندنا فى مدى ستين أو سبعين من الأعوام!!

ولو قد اسْتَشْرَفَتْ لك ليلةُ القدر فكشفَتْ لك عن (خزانة) الشيخ أبى الفضل الجيزاوى شيخ الإسلام لما وقعَتْ عينك فيها على فَقَار من الخبز، بل لَوَقَعتْ على الآلاف من (البنك نوت) إلى أمثالها من أسهم الدَّين الموحَّد وشركة السكر ؛ والرنت الفرنسى ، والقونسوليد الإنجليزى ، وقناة بناما، (ويا نصيب) بلدية باريس ، إلى وثائق الرُّهون ، والغاروقات ، والامتيازات العقارية، والاختصاصات، وأحكام نزع الملكيَّات، وأن شئت إجمالاً قلت إن(خزانة) شيخ إسلامنا، والحمد لله، لا تقِل عن خزائن ثلاثة (بنوك) مجتمِعات!!

وما لنا لا نَغتبط بهذا ولا نُباهى به وقد كانت كلُّ (العمليات المالية) فى أيدى الأفرنج واليهود والأروام والأرمن، وها هى تى الآنَ تستخلصها من براثن أولئك الأقوام، أيدى سادتنا العلماء الأعلام.

والشيخ أبو الفضل الجيزاوى رجلٌ عصامىٌّ حقًا فقد خرج من بلدته الورّاق من أعمال مركز إنبابه [1] إلى الأزهر، وجَدَّ فى طلب العلم وكَدَح فى ذلك كَدْحًا عنيفًا قام عنده مقام شدّة الذكاء وقوة الاستعداد ، وانتهى أمره ،

---

(١) الوراق من أعمال الجيزة ، وهى تابعة لمركز إمبابة «بالميم» وكانت تكتب وتنطق بالنون «انبابة» ، ونسب إليها الشيخ «الإنبابى» شيخ الأزهر.

لا أدرى بأيَّة وسيلة، إلى المرحوم الشيخ العَبَّاسى المهدى الذى كره له لقبه فدعاه (أبا الفضل) فذهب له هذا اللقبُ من ذلك اليوم . ولما استوَى عالمًا مدرسًا كان المرحوم العباسى يعتمد عليه فى بعض وسائل امتحان العالمية فى الأزهر. ورأى الشيخُ (أبو الفضل) أن (يعمَل لدنياه كأنه يعيش أبدًا كما يعمَل لآخرته كأنه يموت غدًا) فحَرَص على جمع المال وجدّ فى تثميره من أيسر الوسائل ، وكم واسى به عانيًا ، وكم فَرَّج به كُربة محتاج؛ على أن الله تعالى، الذى لا يذهب العُرْف بينه وبين الناس، قد أنعم عليه وجازاه فيما أعطى أضعافًا مضاعفة ، وله فى هذه المكارم أحاديث مأثورة، وصحفٌ لا تزال مقروءة منشورة!

وظلّ الشيخ (المالى) مدرسًا فى الأزهر معروفًا بشدّة الاجتهاد والمُطاوَلة فى الدرس، وقوة الصبر على التفهُّم وتصيد الشكوك ومدافَعَتها، على عادة الأكثرين من علماء الأزهر فى عهده، فكان درسُه من أحفل الدروس بطلبة هذا النوع من التعليم .

وهو رجل معروف بحبِّ القرآن وتلاوة القرآن، فلم يتبطَّر وهو عالم كبير، ومالى شهير، على أن يَلَى مقْرأة السلطان الحنفى لقاء ريال فى كل شهر ، وعشرين رغيفًا فى كل أسبوع !

ثم وَلىَ مشيخة معهد الأسكندرية وظل فيها إلى أن أَفضت إليه مشيخة الإسلام فى سنة ١٩١٦ أو ١٩١٧ ، وبلغ من حب الرجل للقرآن واحتفاله للقرآن ألاّ يتنحى عن مَقْرَأة السلطان الحنفى وهو فى ذلك المنصِب الجليل!! ويأبى الله إلا أن يَفْسَح له فى الخير ويبسُطَ له فى الرزق، فبعد أن كان مرتب شيخ الإسلام ستين جنيهًا فى الشهر أضحى ألفَى جنيه فى العام ، وبعد أن كان ثلاثين رغيفًا فى اليوم أصبح ثلاثمائة ، إلى ما أضيف إلى ذلك من وظائف عدةٍ تجرى على مولانا الشيخ الأكبر فى كل شهر مكافأة على حضور مجلس إدارة مدرسة القضاء الشرعى، وأخرى لمدرسة دار العلوم، وثالثة على حضور مجلس الأوقاف الأعلى ؛ ورابعة لمجلس البلاط ، وخامسة وسادسة وسابعة وثامنة، إلى تلك الأوقاف الواسعة التى

دخلت على مشيخة الأزهر والتى لا يعلَم حسابَها إلا الله تعالى ، وما شاء الله كان!!

والشيخ أبو الفضل الجيزاوى متوسِّط القامة بين الطول والقِصر ، قصير العُنُق ، عريض الألواح ، متوافِر اللحم لولا أن رَهَل لحمه بحُكم التسعين ؛ أَخْيَفُ العينين ، خفيف شَعر العارضين ، كَوْسَجُ اللحية[1] ، أرَتُّ[2] اللسان؛ إذا تحدّث تمتم فلا تكاد تَستبين له إلا بالعناء قولاً، وقد أصبح من المرض وتزاحُمِ السنين أشبه بمومياء ، حتى لو قد اسْتَدْرَجْتهُ يومًا إلى دار الآثار ما استطعت أن تستخرجه منها إلا بعد جدال وجُهْد فى الإثبات!! وهو وإن تهدّم جسمه ، وإن خَمَد ذهنه ، ما يزال فتِيَّ الرغبة فى المنصب. وإن الحفلة الرسمية لتُعقَد ، وللشيخ كلُّ عذره فى التخلُّف عنها لمعالجة ما هو أشبه بالموت، ولكنه يأبى إلا أن يُحْمَل إلى الحفْل حملاً إدحاضًا لما يتقول على صحته المتقوّلون!!

وللشيخ مزيَّته التى لا تنكر، فهو شديد الحرص على إطاعة كل ما يؤُمَر به ممن يَسْتَدْرِج الأمرَ منهم ، إذ الرجل واسع العلم بأحكام الفقه وما تتغيَّر عليه فى كل حادث آراءُ الفقهاء، فلا يُعجزه أن يُبْرئ ذمته فى أىّ حادث بجواب، مهما اختلفت العلل وتنوعت الأسباب.

ومن طَريف ما ذُكر لمولانا الشيخ فى هذا الصدد ويدل على عظيم تصرفه وحاضر حجته أن عالمًا يَمُتُّ لنشأت باشا بالصِّهر، وقد نال إجازة التدريس من الأزهر على أنه شافعى المذهب، وبعد سنين تقدّم إلى الامتحان فى فقه أبى حنيفةَ توسُّلا إلى تَقَلُّد منصِب القضاء الشرعى، فلما طُرح اسمه على لجنة اختيار القضاة الشرعيين، ولم يكن لنشأت باشا فى ذلك اليوم شأن ولا خطر، عارض مولانا الأكبرُ فى تعيين ذلك الشيخ بحجة (أنه شافعىّ) ! ، وتدور الأيام ويقْبض نشأت باشا على كل السلطة فى الحكومة، كما تعرف ، فيُرَد اسم الشيخ صهرهِ على اللجنة؛ ويتبارى

---

(١) الكوسج: الذى لا شَعْرَ على عارضِه.

(٢) الأرتُّ: الألثغ ، وتقال لمن فى لسانه عُجْمَة.

بعض الشيوخ من أعضائها فى تزكيته وتبيين مزاياه ويُؤَمِّن على شهادتهم فيه مولانا الأستاذ الأكبر هاتفًا بهم ولا تنسَوْا أنه مع كونه عالمًا حنفيًا فهو يُجيد (فقه الشافعى) أيضًا !!

والشيخ ، على ما أفاء الله عليه من الثَّراءِ العريض والنعمة الواسعة ، مازال يتخذ دارًا متواضعة فى زقاق ضيق خِلاف مِيضأة الحنفى، على أنه طالما أتعب سماسرة البلد فى المساومة على ما يعرض للبيع من قصور الزمالك، والجزيرة ، وقصر الدوبارة، (وجاردت ستى) فإذا جاءوه بالبيت وكان ثمنه عشرين ألفًا طلبه بالخمسةَ عشرَ، وإذا كان بخمسَة عشرَ؟ صمَّم على العشرة، وهكذا ما زال الشيخ جاهدًا نفسه وجاهدًا معه سماسرةَ البلد من عشر سنين مضت، فلا هو يشترى ولا يَقعُد عن التماس القصور ، على حدّ قول الشاعر : (فلا أَمَلٌ ولا تُوفِى المواعيدا)! ، وماله ولقصور الدنيا تلك التى تستفتح الخزائن وتستخرج الأموال وتُجَشِّم النفقات، وفى الجنة قصور من الزُّمُرُّد ومن اليواقيت ومما تقُوم اللَّبنة فيه من الفضة وأختها من الذهب وهى لا نفقة فيها؛ فالطيبات كلها وألوان التَّرف تجرى على أصحابها من غير كلفة ولا عناء، ولمولانا الشيخ منها، بعد العمر الطويل، ما لا يُحصَى جزاءَ الزهد فى الدنيا والرغبة عن قصورها ومتاعها (وهل جزاءُ الإحسان إلا الإحسان)؟.

نسأل الله جل وعلا أن يَمُطَّ فى عمر الشيخ أبى الفضل فى الدنيا وأن يُسعد فى حاله، ويَزيد فى ماله ؛ فلا تقوم بجانبه البنوك ولا تجوز بغير توقيعه الصُّكوك ، وأن يخصَّه بكل ما تجبيه الأوقاف والحوانيت والشركات والمصارف، من أول الإسكندرية إلى أقصى القَضَارِف . آمين.

لا يغرنك سهولة المرتقى إذا كان المنحدر وعرا

عزيز عزت باشا

مظلومٌ من الطبيعة ، ومظلومٌ من الحكومة، ومظلومٌ من الناس، ومظلومٌ من نفسه ، شاع فيه المرض أو توهّم المرض (أو ما تراه أعظمًا وجُلودًا؟) فهو يخشَى الطعام لئلاً يدركه البَشَم، ويخشى الشراب لئلا يُلِحَّ عليه السَّقم، ويخشى المشىَ خوف تعب القلب وخفَقَانه ، والتلفّتَ اتقاء وجع الجنب وضَرَبانه ، والحديثَ فإنه يُرهف العَصَب، والكتابة فإنها مَدْعاة للكد والنَّصَب. ولابد له من أن يَطْعَم ليعيش؛ فإذا قرَّبوا إليه الطعام دفع صِحَاف اللحم أبيضه وأحمره ؛ لأن أضراسه لا تقوى على قَضْمه ، ومعدته لا تضطلع بهضمه، وإذا جاءوه بالخضر صَدَف عن هذا ففيه حديد، وهذا لكثرة ما يحوى من «الأسيد» وهذا لأنه وشيك التحجّر، وهذا لأنه سريع التخمّر؛ وهذا لأنه يستحيل فى الأمعاء غازًا ، وهذا لأنه لا يجد فى (الاثنى عشرى) مجازًا؛ ثم مدّ يده فى خوف ووَهَل [1] فتحيّف من إحدى الصِّحاف قطعة من «البطاطس» مسلوقة مدقوقة، قد بالغوا فى عَرْكها، وألحوا فى فركها، ولم يعالجوها بدهن ولا مرق، حتى إذا أساغها بعد طول مضغ وهَرس، وترديد على كل ثنية وكل ضرس، مضى يطلب لهضمها من العقاقير كل ما أخرج أطباء الإنجليز والألمان والفرنسيين والأمريكان ، مما يُدرّ عصير المعدة ، ويحرّك الأمعاء، ويشدّ المُصْران. ويقوى (الضُّفيرة الشمسية) ويمنع التخمر، ويشتف الغازات ؛ ويحتاز (الحجاب الحاجز) فلا يضغط القلب؛ ثم راح يشكو هؤلاء جميعًا!!

وعزيز باشا عزت كبير الرأس،و له وجه شاحب طويل على جسم رفيع طويل، لو وقف أمامكَ ولم يتحرك لخلته عصى خيزرانة رُكب عليها مِقبض من العاج!

---

(١) الوهل: الضعف .

وقـد نجم من بيت حسب وغنى ، وتعلم فى صـدْر شبـابه فى مـدارس مـصـر، ثم شـخص إلى إنجلتـرا فـتلقى العلم فى مـدارسـهـا ، ثم دخل فى جامعة «ولش» العسكرية حتى إذا طَوَى فيها سنين طالبًا مُجدًا متفوقًا خرج منها ضابطًا فى الجيش البريطانى ، ثم استقال وعاد إلى مصر فانتظم فى خدمـة الحكومـة المصـرية حـتى قُلِّد وكـالة الخـارجيـة، إلى أن كـانت وزارة محمد باشا سعيد الأولى فلم ير أن يبقى فى وزارة الخارجية وكيلاً فنزح بأهله إلى لندن وأقام فيها كلَّ هذه السنين .

وهو رجل وافـر الذكـاء ، غـزير العلم ، جَمُّ الأدب ، صـادق النُّبل ، وبهـذه السجايا استطاع أن يُحرز فى بلاد الإنجليز مكانًا رفيعًا.

.. ولما جـاء دور اختيـار السفـراء قلَّدته حكومـة جـلالة الملك فؤاد الأول سِفارة لندن، وكان اختيارًا موفَّقًا من ناحية ما للرجل من سَعَة العلم وصدق النبل ووفـرة الغنى والمنزلة فى عظمـاء الإنجليـز ؛ إلا أن الرجل ، مع الأسف، كما أسلفتُ عليك مريض ، ولعل المرض هو الذى شَغَله عن متابعـة الحركة المصرية ومُدارسَة قضيتها وتفهم ظواهرها وخوافيها ، فلم يكن ذلك المِعوانَ الذى يتكئ عليه رجالُ السيـاسـة فى معـالجة القضـيـة المصرية كلما جدّت عظيمات الأمور.

وفى الحق أن عـزت باشـا فى خُطبـه البديعة الرائعـة عن السـودان إنما كان رجلاً وطنيًا أكثر منه رجلاً سياسيًا؛ فإن مهمـة السفيـر أن يخـاطب الرجال الرسميين لا يتخطَّاهم إلى خِطاب الشعوب ، ولعل ظرفنا الخاص هو الذى بعث حرارة عزت باشا وأطلقه فى الشعب الإنجليزى بتلك الخُطَب السوابغ وكثيرًا مـا يُغتفر فى أمثال تلك الرجات القومية تجاوز ما يدعونه بالتقاليد .

ولقـد أخذوا عـزيز باشـا عـزت بطول إجازاته وتركه مَثْوَى عمله الأشـهـر الطِّوال إلى سويسرا للتداوى وتارات إلى مصر. والرجل لم يكن متجنِّيًا ولا متبطِّرًا فـإنه وأهله كليهمـا مـريض؛ وقد حـدثتك أن الطبيـعـة ظلمته ، وأىّ ظلم أشنع من ظلم المرض، وحدثتك أن الحكومة ظلمته إذ قلدته بادى الرأى

منصبًا لا تضطلع صحته بأعبائه ، وإنه ليقدّم إليها الاستقالة بعد الاستقالة وهى تأبى إلا أن تردها إليه وأن تُمسكه فى مركزه رغم أنفه ، والناس له فى هذا كذلك ظالمون.

ويجمل فى هذا الموضوع أن نذكر أن الرجل لم يُدَلِّ يده إلى تناول راتبه طول مدة إجازته فهو يردُّها على خِزانة الحكومة ردًّا.

وأنت تعلم من مناقشات مجلسى البرلمان أنه لم يدخل فى شأن «بيوت هوس» بيدٍ ولا رِجل ، بل لقد أنكر هذه الصفقة أولَ الأمر وقضاها زيور باشا آخره فى سرٍّ منه إذ هو فى سويسرا.

وإن من الغَبن أن يقال أن عزيز باشا عزت (يشتغل) سفيرًا لمصر فى لندن، ولو سألتنى عن وظيفته الحقيقة لقلت لك إنه (يشتغل عَيَّان) نسأل الله أن يُلَقِّيه العافية .

وبعد، فإذا كان لنا سفير فى باريس وسفير فى روما وسفير فى الأستانة وحتى لنا سفير فى طَهران! أفلا يصح أن يكون لنا سفيرًا أيضًا فى لندن!؟ وإذا كانت لنا صِلات ببلاد فارس، ولفارس فى أسواقنا سجاجيد (وشيلان كشمير) وسبح (كهرمان) فإننى أتخيل أن لانجلترا فى أسواقنا شيئًا يدعى الفحم، وآخر يدعى الحديد، وثالثًا يدعى الأقمشة على اختلاف أنواعها، ورابعًا وخامسًا.. فإذا لم يكن بيننا وبين إنجلترا مسائل سياسية تستدعى أن نبعث لها سفيرًا ، فلا أقل من أن نبعثه لما بيننا وبينها من وسائل تِجارية!

وإذا لم يكن فى مقدور حكومتنا أن تقبل من عزت باشا ما يقدمه لها من الاستعفاء ، فإن فى مقدورها أن تعجل له الشفاء !

لا تَخَفْ فإنى والله خفيف !!

أبو نافع باشا
أو عمدة سان استفانو

محمد أبو نافع باشا شَخصيَّة قوية يحق أن يَتَولاّها الكتَّاب بالبحث والتحليل، على أننى إذا عجزت عن أن أجلُوه تمامًا فى هذه (المرآة) فلأنَّ تلك الشخصية غريبةٌ فى بابها، بل لعلها خَرجت إلى هذه الدنيا على غير سابق مِثال، أما جسمه فيبدأ دقيقًا من طرَفَيه كليهما ، ثم ما يزال يتدرج فى الغِلظ من كلتا الناحيتين حتى يبلغ السِّمَن منتهاه، عند(خط استواه). ثم هو أَفْوه [1]، غليظ الشفتين ؛ حديد العينين، قصير العنق، إذ مَشَى حسبته هضبة تضطرب فى زلزال، وإذا جلس خلته تَلْعَة فَصلَت عن أحد الأَجبال.

عاقل راجح العقل، ذكىّ مشتعِل الذكاء، غنى وافر الثراء؛ يجمع من ألوان العلم بتاريخ هذا البلد وأحداثه وأحوال أسره ونفسيَّات رجالاته ما أحسب أنه لا يتَّسِق لرجل غيره .

وهو عَذْب الروح ، حلو الحديث، بارع المجلس، حاضر النكتة يرسلها فى موضعها فى توقُّر واحتشام، وقد دُعِىَ ، بحقٍّ عمدة (سان استفانو) لأنه ما تكاد تلوح علائم الصيف حتى يشُد الرِّحال إلى الأسكندرية فيتخذ له دارًا فى الرمل؛ فإذا كان الصباحُ من كل يوم خرج إلى (كازينو سان استفانو) فجلس مجلسه إلى يسار الداخل، وفى هذا المجلس يحتشد الجمع الحافل من الوزراء ، سابقين ولاحقين ، ومن مستشارى الاستئناف، ومن المديرين، ومن كِبار الموظفين ، ومن الأعيان، ومن أهل العِلم والأدب، لأن أبا نافع باشا يدعو كلَّ من جازَ به من أصحابه ويعزم عليهم بكل عَزيمة ، ويأبى إلا أن يُقرِّب إليهم (على حسابه) كلَّ ما يسألونه غِلمانَ الكازينو من ألوان الحلوى والمياه المعدنية وما إلى ذلك ، ثم ينطلق فى المجلس محاضرًا مفاكهًا

(١) الأفوه: هو متسع الفم ، ومنفرج الشفاه عن الأسنان.

محبوك الحديث متزن الكلام إلى أن يحين وقتُ الغداء فينطلق (وَحْدَهُ) إلى داره، فإذا كان العصرُ عاد إلى مجلسه وعاد إليه من ذكرتُ من صدور الناس، فلا عجب إذا دُعِى أبو نافع باشا بعمدة سان استفانو؛ ولا بِدعَ إذا دُعِى مجلسه هنالك بـ (المصطبة).

وحدّثتك أن أبا نافع باشا شخصية غريبة ، والواقع أنه قد حيَّرنى فيه ، فلم أعد أدرى أهو أكرم الناس أم هو أبخل الناس؟ فلقد أرى نَفْسَه تطيب بالإنفاق على كل من استراح إلى مجلسه فى سان استفانو، بالغًا ذلك ما بلَغ، حتى ليخيل إلىّ أننى لو طلبت (على حسابه) كل يوم (Consommation) بمائة جنيه لسخا بها فى هشاشة ولُطف أداء ، على أنه طالما وعدنى بأن يدعونى فى داره إلى حفلة عشاء يُسمِعنى فيها المرحومة المظ ، وما برح يطاولنى فى هذا ويُنْظِرنى حتى ماتت، فتحولنا بالعِدة إلى المرحومة الوردانية فما برح يطاولنى وينُظرنى حتى قَضَت هى الأخرى إلى رحمة الله، ثم انتقلنا إلي الشُّهْديَّة ، فعبد الحى حلمى ، ففلان ففلانة ممن طواهم الرَّدَى وأتى الموت على آخرهم حتى وصلنا بالسلامة إلى الآنسة أم كُلثوم، مدّ الله فى عمرها، حتى يُحقِّق أبو نافع باشا وعده لى ويحقق رجائى فيه، ولا أظننى أدعو لأحد بالبركة فى الحياة وطول العمر كما دَعوت للآنسة أم كُلثوم بأن يحييها الله تعالى حتى يدعونا لسماعها أبو نافع باشا ! كذلك تجرى الأحداث فى البلد فيُهرع المياسير وغير المياسير إلى الاكتتاب بالأموال الجليلة والضئيلة، ولكنك لا تسمع لأبى نافع باشا خبرًا، ولا ترى له فيهم أثرًا ؛ على أنك فى بعض الأحيان، تراه يسخو بالآلاف ويَعِدُ صادقًا بالآلاف وهو فى صمت وكراهة للإعلان!

وهو رجل غريب فى احتياطه وتحرّجه ؛ فلا تراه قطُّ يتهافت على شأن عام؛ ولقد قامت الدنيا وقعدت وانصدَع البلد أحزابًا وشيعًا، ثم كانت الانتخاباتُ يتقاتل الناس عليها ويتناحرون فيها ، وأبو نافع باشا جاثمٌ مَجْثِمة لا يَحدُر إليها طرفًا ولا يدا.

وإنك لتجلس إليه والخَطب قائم فما يزال يستدرجك ويستخرجك حتى تستريح إليه بمكنون رأيك إذ هو متحَفِّظ دونك ما تتفصَّد نفسه من الرأى

بكثير ولا قليل! فإذا أنت عالجته على أن يُفضى إليك فى الحَدَث القائم بحقيقة رأيه ودخيلة اعتقاده ، راح يُرجِّحك بفنون من القول يطليها بأفاكيهه العِذَاب، حتى يُختم عليكما المجلس أو تأخُذا فى حديثٍ غيره.

وإذا تهيّأ لنا أن نلمح جانبًا من هذه النفسية الغريبة وأن نُصوِّرها للقارئ كما لمحنا وكما يحتمل التعبير ؛ فالوجه فى هذا أن الرجل إنما يأخذ نفسه بالاحتياط التامّ فى كل قول وفى كل عمل،وإن أكثر الناس لينزلقون فى الأقوال وفى الأعمال حتى إذا بان لهم وجهُ الأذى فيما تورَّطوا فيه راحوا يطلبون الخَلاص ويلتمسون لهذا كلَّ ما دخل فى ذَرْعهم من فنون الحِيل. أما أبو نافع باشا فقد طَبَع نفسَه بادى الرأى على ألاّ يتورَّط فى قول ولا عمل (وكفى الله المؤمنين القتال) !

وأبو نافع باشا وإن كان شيخًا مُوفِيًا على الهَرَمَ إلا أنه ما زال فتىَّ الروح فهو لا يستريح إلى القعود فى الدار استراحة الشيوخ، ولا يرضى لِسنِّه ولمنزلته أن يبتذل بالجلوس على مُتون القَهوات ، فكيف يصنع ليرضى شيخوخة سنِّه وشباب رُوحه جميعًا؟.

لعلك تغرف قهوة «سبِلند دبار» وأنها تَقَع فى سرّة العاصمة [1] ، وأنها مَجَاز كل غادٍ ورائح، ومُتَرَاءَى كل سانح وبارح ، وإذا كانت لا تتّسق لمجلس أبى نافع باشا فإن قضاء الله المحفوفَ باللطف ليَشُقُّ بجوار (سبلنددبار» دكانًا للخواجة «سوسيدى» الدخاخنى، فلماذا لا يجلس فيها أبو نافع باشا فيكون له كلُّ حظ الجالسين إلى القهوة وليس عليه شىء من تكاليفهم ؟! نعم إن أبا نافع باشا لا يُدخن ولكن هل هذا يمنعه من أن يبتغِى مجلسه فى دكان دخان؟ . ولقد كان يجلس فيها أبو نافع باشا وبإزائه المرحوم محمد الشريعى باشا من ناحية ، ويجلس السِّباعى بلك المصرى وبإزائه محمد بك حتاتة من الناحية الأخرى، فكان أربعتهم أشبه بالأربعة السباع القائمة على خِفَافىّ كبرى قصر النيل . ولقد طالما اشتهيتُ سجاير سوسيدى فصرفَنى عن مجله هَيْبَتى لأولئك الأربعة من سُكان الآجام.

---

(١) سرَّة العاصمة : وسطها.

ومـا كـان أوسـع صـدر هـذا الرجل وأبلغ تضحيـتـه : فـاثنـان من هؤلاء لا يُدخنان قطّ، وهمـا أبو نافع باشـا والسبـاعى بك المصـرى ؛ واثنـان يدخنان؛ على أن أحدهمـا لا يُؤثر إلا سجـاير (جناكليس) ، فـإذا انتهت سجـايره رجـا الخـواجـة سوسـيـدى أن يبـعث بغـلامـه ليـجىء له بعلبـة سـجـاير من مـحل جناكليس!!

ولا تنس ما للأربعة الأقطاب من التكاليف الكثيرة والمطالب الوفيرة، هذا يشـتـهى السمك البُـربون، وهـذا يطلب (الملوخـيـة) الجـديدة، هـذا يبـحث عن سـوّاق للأتومـوبيـل، وهـذا يطلـب «سـمكريًا» لإصـلاح صنَابيـر الـدار، وهـذا يطلب (فكّة) ورقة بخمسين جنيهًا، وليس يُجَشم كلَّ هذه الخِدَم إلا الخواجة سوسيدى المسكين!

ولعل كل عزاء الرجل عن هذا البـلاء جميعه أن الله قيض لدكانه حُراسًا أربعة فلا يستطيع اقتِحامَها أشدّ سُرَّاق الليل ولا أبرع لصوص النهار ؛ على أنه حين اقتحمِ دكانه إحدى الليالى وسرق من خزانته أربعة جنيهات قرر أن (يخصم) مـن مـرتب الفـرسـان الأربعـة جلوسَ ثلاثة أيام لبثُـوها فى (ضـرب بلطة) على الرصيف حتى أذن الله وانقضى الأجل المحدود!

والواقع أن أبا نافع باشا أخذ نَفْسَه بألا يطَّلع من صُور الحياة إلا على نواحيـهـا المفرحـة؛ وإنك لا تراه ، مهمـا جدّ الجدّ وأَزَم الخطب، إلا مـرحًا طروبًا، ولا تراه يعرض للأحداث العامة وغير العـامة، مهمـا جلّ شأنهـا إلا من ناحيـة ما يستشِف فيها من نكتة بارعة ورأى طريف، ولو كان يُغامِر كما يغـامِـر سـائر النـاس لامـتُـحن فى الحـيـاة مِـحْنتَـهم ولأصـاب من مُـرها مـا يصيبون ؛ ولكنه رجل فيلسوف، وإن فلسفته ، على أى حال وجهتها، لفلسفةٌ سعيدة!

وما الدهر إلا من رواة قصائدى

إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

شوقى (١)

لو بعث الله الناس كلاما ما عدا أن يكون شوقى نفسه قطعةً شعرية جميلة نُظِمت فى الحب والرحمة. دقيق الجرم، لطيف الحجم، متناسق الأعضاء ، مستدير الوجه، لا تزال عليه أثَارة من ملاحة الصِّبا وإن تكرشت بعض معارفه بقضاءِ ما فوقَ الخمسين ، إذا أقبل عليك يحدثك مالت حدقتاه عنك إلى ما على يمينك أو شِمالك أو ظلتا تضطربان بينهما حتى لتُحِس إنه يوجه على غيرك الحديث. ولقد ينقطع عن المجلس، وهو فيه ، المرتين والثلاث، فلا يسمع ولا يرى ما يدور بين يديه، فإذا كان على هذه الحال ورأيت رأسه يَخْتلج، وقد رَشَق ظُفر إبهامه بين ثَنِيتَه وارح يهمِس بالتناغيم يسلُخها سلخًا، فإياك أن تقتحِم عليه شأنه فإنه إنما يتلقى وحى القريض.

وهو خفيف الروح، رفيق النفس، نبيل الخُلق واللسان، ترى فيه غِبطة العصفور وترى فيه وداعة الحمام ، وهو ، كما قلت لك ، قطعةٌ من الحب والرحمة.وإذا كان الحبُّ ضعفًا، وإذا كانت الرحمةُ ضعفًا، فلا شك فى أن شوقى أضعفُ الخلق أجمعين. ولم أره يومًا غاضبًا ولا ممهدًا سبيلاً للقسوة إلى قلبه أو يده أو لَسانه؛ ذلك أن الله طَبَعه على أن يتناَول بما فيه من

(١) هو أحمد شوقى بن على شوقى، أشهر شعراء العصر الحديث، يلقب بأمير الشعراء، ولد بالقاهرة سنة ١٨٦٨م وكتب عن نفسه يقول: « سمعت أبى يرد أصلنا إلى الأكراد العرب»، نشأ فى ظل البيت المالك بمصر، وتعلم فى بعض المدارس الحكومية، وقضى سنتين فى قسم الترجمة بمدرسة الحقوق، وأرسله الخديوى توفيق إلى فرنسا سنة ١٨٨٧، واطلع على الأدب الفرنسى وعاد سنة ١٨٩١، فعين رئيسًا للقلم الأفرنجى فى ديوان الخديوى، عُرِف شوقى بشاعريته، وعالج أكثر فنون الشعر مديحًا، وغزلاً ، ورثاء، ثم تناول الأحداث السياسية والاجتماعية فى مصر، والشرق، والعالم الإسلامى، توفى سنة ١٩٣٢م. انظر محاضرات عن مسرحيات شوقى د/محمد مندور ، والأعلام للزركلى (١/١٣٦-١٣٧).

الحب كُلَّ ما يجرى فى هذا العالم من الخير، وأن يتناول بما فيه من الرحمة كلَّ ما يجرى فى هذه الدنيا من أذًى وشر، ومن هنا تُدرك كيف يَشيع ذِكر السيد المسيح فى شعر شوقى، وكيف يتغزل بأفتن الغزل فى سجاياه العِذاب!

مفْرط فى حب نفسه ، شديدالوَلَع بها، مفْرط فى حب بنيه شديد الولع بهم ؛ وأنه بعد ذلك لشديدالرِّقة للناس جميعًا، أضعفه الحب وفَلَّ من عزمه فلا يستطيع أن يَشهد مَشهدًا مؤلمًا، ولا يستطيع أن يسمع قصة حزينة ولو قد عَرَض لسمعه أو لبصره شىء من هذا لولى منه فرارًا ومُلِئَ منه رعُبًا ولوع بنفسه هيُوب من أن تَعتريها الأيام بمكروه، وذلك الوجه يما ترى من دوام رضاه وارتياحه فلا تلقاه يومًا شاكليًا ولا برمًا من الحياة مهما تكدَّر العيش وتنكر وجه الزمان، فإنه إذا أصابه الخير هَشَّ له وفرِح به ، وإن أصاب المكروه سببًا من أسبابه أطار خياله كل مطير فراح يلتمس له فى الضير خيرًا ، وفى المكروه نعمة؛ ثم جاءك يحدِّثك بمنة الله عليه وعنايته به، فهو رجلٌ يستخرج الرضا ويستكره سبب الغِبطة على كل حال! وإنه ليُسرف فى هذا إسرافًا شديدًا لقد يصل بك أحيانًا إلى العَجَب من أمير الشعراء!

وبعد فلكم عالجت القلم على أن يقول فى «شاعرية» شوقى فعصى، ولكم بعثته بالبيان عنها فتعذّر وأبى ،وإن ظُلمًا أن تريدنى «السياسة الأسبوعية» على هذا وأن تَقضِى به علىَّ اليوم قضاءً لِزامًا.

وليت البيان يُعار فأستعير بيان شوقى ليصف شعر شوقى ، فليس يتعلق بهذا إلا ذاك . وأنى لآخذ فى شعر هذا الرجل فما يزال يشُفنى ويرفعنى حتى أرانى استحلت روحًا محضًا يطير بى عندَ السِّماك، ويحُلِّق مُحَلَّق الأملاك، فإذا أتيت عليه وعُدت إلى نفسى فإذا أنا ما زلتُ جسدًا رابضًا على هذه الأرض ، وإذا شعرُ شوقى ما يزال نُورًا يترقرق فى تلك السماء !

صائِد لا يُخطئ سهمه ، وإنه لَيصيب أرفع المعانى من أوّل رَمْية، وإنه ليترفّع بك إليها أو يتنزل بها إليك فتسيغها فى غير عسر ولا عناء ، وإن كنت حق شاعرٍ بأنه إنما جاءك بما يجاوز تفكيرك ويعلو على مدى تخييلك.

ولقد ضَرَب فى كل قَصْد، وجال فى كل غرض، فَبَرع وبذَّ وأتى بالطريف لا تُدرك آثاره، ولا يُلحق غباره. ومن عجب الزمان أن يخرج شوقى فى هذا الزمان! ولا أدرى كيف فرّ هذا الشاعر من شاطئ دِجلَة إلى شاطئ النيل، ولا كيف تسلَّل من جِيل أبى نُواس إلى هذا الجيل؟!

ولقد عارض الفحول من متقدمى الشعراء فى أجل قصيدهم فما قصَّر عن مداهم ولا انخَذَل عن اللَّحاق بهم ، بل لقد زاد عليهم من كل ما فَتَق العصرُ فى فنون المعانى يُرسلها فى الكلام الناصح فلا يَنْبو عنها الطبع العربىّ ولا يجد لها عليه نُشوزًا.

وشوقى هو شوقى من يوم شَدَن [1] ومن يوم تحرّك بالشعر لسانه؛ آية من آيات البيان يُدَوِّى بها السهل والجبل ؛ ولقد يكون التقدم فى السن ، والتبسط فى العلم، وتجارب الأيام ، وطول التمرين فى نظم الكلام ، قد بَسَطت فى أغراضه وبصَّرَته بكثير من مضارب القلم ، إلا أنها لم تَزد، وهيهات لها أن تزيد فى «شاعريته» كثيرًا ولا قليلاً ؛ ذلك أن هذه العبقريات إنما تُخلق مع المرء خلقًا فلا تُنال بكسب ولا تعليم، فإذا كان لشىء من ذلك فضلٌ ففى مجرد الصَّقل والتهذيب.

وليس بدعًا فى سنَّة الله أن ينتضح طبعُ شوقى بكل هذا البيان العربىّ وهو فتى لا يتصل من أبناء العرب، من أمه وأبيه بسبب، ولا كان محصوله من لغتهم وأشعارهم ومحاضراتهم ومظاهر بلاغاتهم بأوفر من محصول من نشأَ فيهم من أهل البيان فوثب دونهم وردَّ بيان بنى العباس عليهم وإلا فمن علَّم البدر كيف يتألق، ومن علَّم الغدير كيف يترَقْرق، ومن علمَّ السِّحر الجفون، ومن علّم الغمامة كيف تُسحّ بالعارض الهَتُون، ومن علمَ الوردة كيف تتنفَّس بالأَرَج ، ومن علم البُلبل كيف يتغنَّى بالرَّمَل والهَزَج؟ ألا ذلك تقدير العزيز العليم !

---

(١) شدَنَ: ترعرع، واستغنى عن أمِّه، يقال للظبى : شدن فهو شادن.

وإن طبع شوقى ليجود بالشعر يُصيب به أعلى المعانى ما أحسبه يرتَصِد لها أو يعالجها بالمطاولة والتفكير ، ولقد تراجعه فى بعض شعره وما يطلب به فيروح يتفهَّمُه معك بمجاهدة الفكر وطول الشَّد على العَصَب؛ حتى إذا فُرَّ هذا الشعر واحتدت فيه الأذهان خرج للناس فيه من وجوه المعانى ما يُحير العقول ويذهب بالألباب. فإذا رأيت بعد هذا شوقى ولم تستطع التوفيق بين مجلسه وحديثه فى الأسباب الدائرة بين الناس، وبين شعره الذى يُنِيف بك ، كلما قرأته ، على السِّماك، فاعلم أن هناك موهِبةً أو ما يدعونه «عبقرية» ليس من الحتم أن تتَّسِق دائمًا لسائر غرائز الإنسان!

وإذا رأيت أثر النعمة باديًا على شعر شوقى فلا يتعاظمنك هذا ممن لاغاه إسماعيل طفلاً، ورباه توفيق يافعًا، وخرَّجه عباس رجلاً؛ وعاش عمره متقلِّب الأعطاف فى التَّرف والنعيم.

وقيل يومًا لابن الرومى: كيف يسبقك هذا الغلام (عبد الله بن المعتز) إذا وَصَف، فلا تَلحَقه أنت ولا أضرابك من مشيخة الشعراء ؟ فقال: لأنه إذا تكلَّم فإنما يصف آنية بيته!

وشوقى لا يحفِل كثيرًا بنسج الكلام وتزوير اللفظ وتزويق الديباجة؛ فإن طبعه قد انصرف أكثره إلى المعانى حتى إنه ليُحمِّل اللفظ أحيانًا ما يثقله ويبهظه ويكد ذهن القارئ فى التماسه وتبيينه؛بل إنه فى سبيل الوفاء بما قَصَد له من المعنى ليأتى أحيانًا بالغريب الشامِسِ من اللفظ لا تُدرك معناه إلا بعد مراجعة وطول استخبار!

على أننى فى هذه المرآة بسبيل تحليل نفس شوقى لا تحليل شعره ، فمن كان لم يَزَل فى حاجة إلى التهدى لفاخر شعره وعيون قصائده، وهى فوقَ أن يتناولها العدد، فليطلُب بعضها فى قصيدة صديقه شاعر النيل التى أعدها للحفل الكبير، فليس أقدرَ على الدلالة على فاخِر شِعْر شوقى من حافظ إبراهيم.

وقد يُسِفُّ شوقى كما كان يُسف بَشَّار وأبو نواس وأبو تمام والبُحترى والمتنبى والمعرّى ومن دخل فى خِللهم من جلة الشعراء، ولا بد للطائر المُحلِّق أن يستريح هنيهة بالإسفاف؛ وإنك لو وازنت بينهم وبينهم فى نصاحة شعرهم وحَبْك قريضهم وارتفاع معانيهم وفى إسفافهم ذاك وتزايل ألفاظهم وفُسُولة معانيهم لخلتهم إنما يعتمدون هذا اعتمادًا استجمامًا بالعبث أو تجنيًّا على ما أمكنهم الله من نواصى البيان!

وقلت لك إننى لست بسبيل تحليل شعر شوقى حتى أضرب على ما تقدم به القول مختلف الأمثال .

وشوقى فَنَّان كل الفَنَّان ، يَكْلَف بفنه ويُغرم بآثاره غرامًا شديدًا ، وليس يؤذيه شىء كما يؤذيه أن تَتره حقَّه وتَتَحَيَّف من قدر صنعته.

ولقد قلت لك إنه ضرب بالشعر فى كل قَصد، وجال به فى كل غرض فبذّ وبَرَع - استغفر الله إلا الهجاء فما أحصِىَ عليه فيه بيت واحد، اللهم إلا أن يَتَندَّر ويلاعب بالشعر لا يبلغ به الإقذاع ولا يتردى به إلى داعِر الكلام ؛ ولا أدرى أكان ذلك ترفعًا من نبل النفس وكرم النَّشأة، والنَّزاهة عن التدسُّس إلى مكاره الناس؟ أم أنه يرجع أيضًا إلى تلك الطبيعة الغريرة والنفس الحلوة؛ فهيهاتَ للعُصْفور أن يكون بازيًا، وللحَمَل الوادع أن يَستَحيل ذِئبًا عاديًا!

وللكُتَّاب شعر تعرفه بجفافه وجَرَيانه فى مثل أقيسة المنطق؛ وللشعراء نثر تعرفه بتزايل (١) لفظه وانقطاع جُمَله وعدم استرسال معانيه . إذ عرفت هذه القاعدة تهيأ لك أن تعرف كيف يكون نثر أمير الشعراء!. على إنك واجدٌ لنثر شوقى حلاوة ، برغم ما يقيِّده من أسجاع الكُهَّان ؛ ولكنها حلاوة

---

(١) التزايل : التباين ، وتزايل فلان من جليسه: احتشم ، ويأتى بمعنى التفرق، وفى القرآن ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

شعر لا حلاوة كلام مرسل، وكأنى به إذا اعتزم الكتابة فى بعض الأغراض نظمها أولاً فى شعر مُقَفّى موزون؛ ثم كسَّره تكسيرًا وبذره على القرطاس بذرًا.

ولِسان شوقى لا يفى بمطالب أدبه ولا خياله ؛ وإن فيه فوقَ هذا لخجلا يُمسكه عن الكلام أحيانًا فى مواطن الكلام، وقل أن تراه يتبسَّط فى حديث إلا إذا خلا إلى نفَر من صفوة خُلاَّنه؛ على إنك إذا شهِدت مجلسه ولم يُسِرَّ إليك أحد بأنه شوقى لم سَهُل عليك أن تُدرك أن هذا شوقى الذى ملأ طِباق الأرض بيانًا !

وليس جديدًا أن أُنبِّئكَ بإن العبقرية كثيرًا ما تَضْخُم فى المرء على حساب ما فيه من الغرائز، وكأنى بها تملِك عنها قدرًا من غِذائها حتى ما تَدَع لبعضها قوامًا، وتلك العلّة ، لا شك، فيما تراه وتسمعه من شذوذ جميع العبقريين فى العالم، فإذا كنت منكرًا على شوقى شيئًا من الشذوذ فإنك منكِرٌ، من حيث لا تريد ولا تجرُؤُ ، تلك العبقرية الفحلَة. وحسبه أن أصبح بها ملْءَ الأرض ، وحسبه أن أضحى بها حديثًا للتاريخ طويلاً.

وإنى من قوم كأن نفوسهم

بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

محمد محمود باشا (١)

تاريخٌ كبير فى سنّ صغيرة، وشأنٌ جليل، فى جسم ضئيل. ولعل محمد باشا محمود لم يُذرِّف (٢) بعدُ على الخامسة والأربعين؛ ولكنك حين تقلب الذهن فيه يَنسرح منه إلى مدًى عريض. وحسبك أن ترى أرنبة أنفه وهو يَشُدّها إذ يتحدّث إليك أو ترفعها له الطبيعة ، لتُدرك أنه رجل لا يريد إلا أن يكون عظيمًا، أو على الصحيح، أنه لم يُخلق إلا لعظيم، وكذلك كان محمد محمود من يوم أخرجه أبوه للتعليم فى مدارس الحكومة ، فكان فى السنة الأولى أولَ لِداته جميعًا، فلما تحول إلى الثانية كان فوق أن يكون أولَ تلاميذها، فوثب به الناظر إلى السنة الرابعة طَفْرة. وجاء عاهل وزارة المعارف «دنلوب» ليطالع مدرسة أسيوط ويتشرّف على سَيْر التعليم فيها، فلما انتهى إلى تلاميذ السنة الرابعة رأى غلامًا دقيقًا لا تتصل سِنّه بأهل تلك السنة ، فبعَثه من مجلسه وجعل يسأله وجعل محمدٌ يحسن الجواب فى غير تَتعتُع ولا وَرَع حتى راع دنلوب شأنُهُ، فسأل الناظر عنه فنفَض له جملةَ خبره ، ففَظُع بدنلوب أن يُنقل تلميذٌ من السنة الثانية إلى الرابعة

---

(١)هو محمد بن محمود بن سليمان بن عبد العال من بنى سليم ويعرف بمحمد محمود باشا، ولد فى بلدة «ساحل سليم» بأسيوط سنة ١٨٧٧، وتعلم بأسيوط والقاهرة، ثم جامعة «اكسفورد» وتقدم فى المناصب،فكان مديرًا لمديرية الفيوم فمحافظًا على القنال، فمديرًا للبحيرة، اشترك فى ثورة سنة ١٩١٩ م ، وتألف الوفد المصرى مع سعد زغلول ونفى معه إلى «مالطة» وانشق عن الوفد بعد العودة إلى مصر، واختير وكيلاً ثم رئيسًا لحزب الأحرار الدستوريين، وولى وزارة المواصلات ثم وزارة المالية ، ثم صار رئيسًا لمجلس الوزراء سنة ١٩٢٨، فحل البرلمان ، وعطّل الدستور، ووصف بصاحب اليد الحديدية لعنفه، وذهب إلى لندن لمفاوضة الإنجليز فى قضية مصر وعاد بمشروع «محمد محمود - هندرسنون» ولما ضعفت صحته استقال من كل أعمال السياسة ، كان عصبى المزاج، متقد الذكاء ، فيه عنجهية توفى بالقاهرة سنة ١٩٤١ . انظر الأعلام (٧/ ٩٠، ٩١).

(٢)لم يُذَرِّف: لم يزد عليها.

طَفْرة، فعجّل العقاب لذلك الناظر المسكين! ولا أدرى أكانت فَعْلة دنلوب حرصًا على النظام أم حرصًا على ألاَّ تَفْسَح مدارس الحكومة طريقَ النبوغ لأهل النبوغ؟!

ويمضى محمد محمود فى سبيله إلى المدارس الثانوية بعد إذ يحرز الشهادة الابتدائية ، ولا يكون شأنه فى الأولى إلا كشأنه فى الثانية مجلِّيًا أبدًا، حتى إذا ختم علومها وأحرز (البكالوريا) متقدّمًا مضَى إلى إنجلترا وانتظم طالبًا فى جامعة (أكسفرد) وكان له فى جامعة أبناء الأعيان من الإنجليز ما كان له هنا: إكبْاب على الدرس ، وطاعة فى عزة نفس؛ ونُبل يُمليه الحسَب، وكرامة يزكيها ما يُفضى له أبوه من مال ونَشَب، وكذلك عاش محمد محمود مثلاً أعلى للكرامة المصرية فى أعظم جامعات إنجلترا بين أبناء أعظم أعيان الإنجليز، وتأبى عليه (أرنبة أنفه) كذلك إلا أن يكون بينهم مجلِّيًا فى إنجلترا كما كان مجليًا بين مَعْشره فى مصر، حتى أحرز أعلى الشهادات، وينقلب إلى مصر قريرةً به عين شيخ جليل طالما صَدَق فى خدمةِ مصرَ بلاؤه ، وتمحَّض فى هواها إخلاصه ووفاؤه.

ودخل محمد فى خدمة الحكومة مفتِّشًا ، على ما أظن ، فى وزارة المالية، فسكرتيرًا لمستشار الداخلية؛ وتضيق هذه المساحة عن همته كما تضيق بمطامعه فى الحياة. فيغامر فى مَيْدان السياسة ، ويغامر فيها بحزب قوىّ يجمع «أرباب المصالح الحقيقية» ورؤساء العشائر فى البلاد، ويقوم «حزب الأمة» عَوانًا بين الحزب الوطني وحزب القَصْر فى تلك الأيام، وكان الشيخُ الجليلُ محمود باشا سليمان رئيس هذا الحزب، وكان الأستاذ الأكبر لطفى السيد عَلى تَرجُمانِه (الجريدةِ) ،وتألفت إدارته من مشيخة من أهل الرأى والعلم والغنى والحسب فى البلاد، وكان لمحمد محمود فيه ، من وراءِ السِّتار، رأىٌ كبير.

ويَضطرب بعضُ الأمر على اللورد كرومر بشُيوع الدعوة الوطنية واطراد قوّتها واستفحالها يومًا بعد يوم ، فيختطّ له نَهْجًا جديدًا، ذلك بأن يَستألِف رؤساءَ العشائر و(أصحاب المصالح الحقيقية) ويُقيم على المرافق العامة أهلَ الكِفايات من أولادهم اصطِناعًا لهم فى ناحية ، واستصلاحًا لأسباب

الحكم من ناحية أخرى؛ فقد كاد الأمر كله يفسد باستِخذاء [1] رجال الإدارة لصِغار المفتشين الإنجليز واستنامتهم فى جميع الأمر لهم، إذ تشُبّ فى الوقت نفسه حركة وطنية عنيفة تطالب بجلاء الإنجليز جملةً وتسليم مرافق البلاد لأهل الكفايات من أبناء البلاد؛ فأقام محمد محمود مديرًا للفيوم وسُرعان ما جَمع بين احترام الإنجليز ورضاء المصريين؛ وكان (لأرنبة أنفه) فضل عظيم فى مُدافعة يد المفتش عن مُعالجة الأمور؛ إلى قوة عزم ، وحسن إدارة ، وصلابة فى موطن الرأى، ولعلها كانت فى ذلك العصر، أول تجربة أَجْدتْ على الطَّرَفين جميعًا.

ثم عُين محافظًا للقنال، فمديرًا للبحيرة يستقلّ بالأمر حيثما كان؛ (ويأنف) من أن يَظهر على رأيه رأىُ إنسان، ولو كان المفتش ولو كان المستشار، وتتحرج من هذه الحال صدورٌ وتضطغِن على محمد باشا محمود قلوب ، فيُترَبَّص به المكروه، حتى كانت حادثةٌ فى البحيرة أرادوا أن يُجلجلوا فيها المدير فما استطاعوا إلا أن يستقيل أو يُقال من المنصب، وهو لم يزل بعدُ فى مَيْعة [2] الصِّبا، ضحية للاستقلال بالرأى، أو ضحية (أرنبة الأنف) لا تنزل على المهانة فى أىّ حال.

ويَلبث حتى أعقاب سنة ١٩١٨ إذ تقف رحى الحرب فيتقدم فى أصحابه الغطاريف [3] للمطالبة بحق مصر فى حريتها واستقلالها، ويؤلفون الوفدَ المصرى ويُهيبون بالبلاد فتنهض فى آثارهم؛ فتقبِض السلطة القوية عليه مع دولة رئيس الوفد واثنين من أعضائه وتنفيهم إلى مالطة، فيمضون إليها بارزى الصدور، مرفوعى الأنوف، هاتفين مِلءَ أشداقهم: ألا فى سبيل مصر، فلتحى مصر! ثم كان من شأن الوفد وعظيم جهاده ما تعرِف؛ ولا محلَّ لمعاودة القول فيه ، إلا أن أُلمع إلى ما كان لمحمد باشا محمود فيه من كريم المنزلة بشدّة عقله ، وصحة رأيه ، وقوة عصبيته فى كَبِد الصعيد.

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نَدُلّ على سَعيه فى أمريكا إذ شَخَص عن الوفد لبث الدعوة المصرية هناك ، فتم له كلُّ ما أراد من الفوز والنجاح.

---

(١) الاستخذاء: شدة الخضوع والانقياد.

(٢) أول الشباب.

(٣) الغطاريف: السادة.

وهو من أوائل من استراحوا إلى فكرة الائتلاف السعيدة إن لم يكن أولهم جميعًا، كما كان من أعظم العاملين على تحقيقها.

وإذا كان محمد باشا محمود مَدينًا بماضيه الشريف القوى (لأرنبه أنفه) فهو كذلك مدين لها بكل ما يحقِد عليه الناس، واسمح لى فى هذا المقام يا معالى الوزير أن أضغَط على «أرنبة أنفى» أنا الآخر فأرفعها بمقدار ٢ سنتيمتر حتى أستطيع أن أصارحك القول وأخاطبك خطاب الأكفاء للأكفاء: إن خلقًا من خلق الله، وأنا مع الأسف منهم، شديدو المَوْجِدة عليك بما يظنون فيك من جَنَف [1] وكبر وتهاون للناس. وإنك لتَقتضيهم أن يتوافوا لدعوتك للشؤون العامة بكل ما مَلَكوا من رأى وجاه ومال، حتى لو دعا الأمرُ إلى ابتذال المُهج ، والتضحية بالأهل والولد؛ إذا أنت لا تحتفل لحاضر ، ولا تتفقّد غائبًا ، ولا تعود مريضًا؛ ولا تشيع جنازةَ ميت ، ولا تأبه لأصحابك مهما كَرَثَهم من الأمر ونزل من المكروه؛ حتَى فى الوقت الذى يحتاج فيه الداعيةُ إلى مصانَعَة جميع الناس!!

وإنى لأصارحك بهذا (ورزقى على الله) فإن كنتَ آخذى على هذه المعتبة بقطع (التليفون) عنى فلا أحوجنى الله إليه ، أو مُجَازِىَّ بمنعى من السفر فى سكة الحديد فإنى (أدق كَعب) إذ لم تتهيأ لى الجِمال ولا البراذين، أو معاقبى بعدم التخاطب بالبريد، فليست كُتبى مما يسرّ القلب، وتفضل من اليوم بتحويلها إليك فلن ترى فيها إلا مطالبة (بذِمامات) متأخرة، وتذكيرًا بديون مُنْسَأة . وعلى كل حال (فالله يغنيها) عن وزارة المواصلات كلها.

والعجب أن محمد باشا محمود ، مع هذا التجنِّى كله على خلق الله، رجل شديد الأدب، لطيف المحاضرة ، إذا أذن الله وكَشف لك عن ليلة القدر فأصبته فى داره يجلِس مجلِسًا للناس ! ولعل ذلك يفسر ما أقنعنى به رجلان فاضلان من أن محمد باشا محمود لا كبر فيه ولا بَرَمَ بالناس [2]، إنما هو المرض الملح المتدارك يَحتازه عن كثير مما يرجو من مصانعة الناس وتفقُّدهم والتجمّل لهم ، وإنى لأقبل هذا التعليل (تحت الحساب) . وأسأل الله أن يَمُنّ على معالى الوزير بالعافية كلها لينعم هو بها وينعَم بها الناس وينعَم الوطن.

---

(١) إعراض وتنح.

(٢) البرم بالناس: الضجر منهم.

خلدتُ (نهضة مِصر) فَخَلَّدنى تمثالُها

مختار «المثال» (١)

بَيْضة كبيرة ينتهى سنها بلحية دقيقة مرسَلة على شكل مثلث متساوى الساقين، فإذا حُسر الطربوش أو القُبَّعة عن رأس «البيضة» رأيت غديرًا فى صفاء المرآة وهدوئها؛ يقوم على حِفافيه نبت غزير، وتلك أيضًا رأسُ مختار المثال. وهو كذلك من الرجال الذين تعرفهم بصَلْعتهم إذا ولَّوا. وهو أبيض اللون، له تانك الحدقتان المتحيرتان فى عيون أكثر نوابغ العالم. أما أنفه فبائن الطول والانتفاخ فى غير كِبْر ولا تيه، يتدلَّى على فم لولا غِلظٌ فى شَفَتيه ما بان ولا انكشف. ثم هو بعد هذه (الزحمة) منتظم الجسم متَّسق الجوارح والحمد لله!

ومختار ضخْم الصوت؛ فإذا ارتفع صوته تسلَّخت بعضُ شُعبه، وإذا تحدّث، سواء بالعربية أو الفرنسية، سمعت لفظ مجاور متحذلِق فى «تطجينة» عامل من سكان الخارطة بجوار سيدى أبو السعود!

والعجب أنه مع هذا كله رجل (Moderne) مطبوع فى تفكيره، وذوقه، وأناقته أيضًا على آخر طراز، وهو ثائر عنيف الصَّولة على كل قديم؛ متعصب شديد الهوى إلى كل جديد. لا يَعبأ فى طلب هذا لنفسه ولقومه بعادة ولا بتقليد، ولا بما هو أشد من العادة والتقليد، وهو إذ نضا عنه الطربوش واتخذ القُبَّعة لم يكن مُفتاتًا على عيشه الذى يكاد يكون أوروبيًا

---

(١) هو محمود مختار بن إبراهيم العيسوى المعروف بمختار المثَّال: نحات مصرى، نبغ فى صناعة التماثيل الفنية، ولد محمود مختار فى قرية «طنبارة» بالمحلة الكبرى، وتعلم بمدرسة الفنون الجميلة سنة ١٩١١ م بالقاهرة، وأوفد إلى باريس، فاستكمل دراسته، واشتهر بها فتولى الإدارة الفنية لمعهد «جريفان» ثم عاد إلى مصر فصنع تمثال «نهضة مصر» وعاد إلى باريس مرة ثانية فأقام معرضًا للفن المصرى الحديث سنة ١٩٣٠، ورجع إلى مصر، وبدأ يصنع تمثالاً لسعد زغلول إلا أن المنية عاجلته فمات بالقاهرة سنة ١٩٣٤، ولمحمود مختار الآن موقع يضم فنه بجوار الأوبرا المصرية، انظر الأعلام (٧/ ١٨٧).

خالصًا، ومن العَجَب أيضًا أنك تراه مع ذلك يستريح إلى الحياة (البلدية) كلما تهيَّأت له ، فيأكل بكل كَفِّه ، ويُعلِّق أسنانه فلا يتعبها بمضغ ولا قَضم، فإذا اتصل الحديث فى المجلس بألوان المنادرات والمفاكهات سمعت من مختار المطربَ والمعجبَ من كل نادرة طريفة، و(نكتة) رائعة ، حتى ليخيل لك أن سِنه تكنِز ستين سنة ، قضى نهارها فى «التربيعة» وليلها فى غِشيان الأعراس «الوطنية» وحضور مجالس «الشعراء» على حواشى القهوات «البلدية» واستماع ما يتطارح به جماعات المتظرفين من فنون النكات!

وهو صافى النفس، عظيم الشجاعة، وافر الذكاء. لا يعنيه شىء فى الدنيا قَدرَ عنايته بفنه الجليل.

وفى الحق أن مختارًا مجموعة (Assortimant) تضُم ألوانًا من الغرائب والمتناقضات ، ولعل ذلك هو الذى هيأ له كلَّ هذا النبوغ العظيم، وإن مَثَّالاً- يتروَّى فنَّه فى بلاد الغرب عن أكبر رجاله ، ويظَلّ السنين الطِّوال فى ملابستهم ومحاكاتهم والتفطُّن إلى مداخل صنعتهم حتى يحذِقه ويبرع فيه ثم ينقلب إلى بلاده فإذا هو بصير بكل عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم ومحاضراتهم وما جلّ ودقّ من شؤونهم على تفرُّق طوائفهم واختلاف بيئاتهم - لهو جدير بأن يكون فى فنه الحُسَان كلَّ الحُسَان.

وقد نَجم مختار من أسرة كريمة، فلما يفَع أخرجته، على العادة ، للتعليم فى المدارس الابتدائية، فمضى فى درسه غير وان ولا مُتخلِّف ؛ على أنه لم يكَد يطوى فى الطلب بضع سنين حتى بدأ ميله واضحًا للرَّسم والتصوير ، فلا يُرَىَ مُكبًا على درس إكبابه عليه فى «حصة» الرسم، ولا يكاد يرى هو نقشًا باديًا أو صورة معلقة إلاّ وقف يتصفَّح ويتأمل ويُشيع كل حِسه فى تقاسيمها ومتخالف خطوطها وتعاريجها، ثم استل ريشته وأدوات رسمه الصغيرة وراح يحكيها بكل ما تهيأ للموْهِبة الناشئة فى ذلك الجرم الصغير! وظل كذلك عدة سنين لا يعدو منه الاجتهاد فى طلب العلم علَى الاجتهاد فى تربية تلك الملَكة ما استطاع إليها السبيل.

وكانت مدرسة الفنون الجميلة التى أنشأها سمو الأمير البارّ يوسف كمال، فنزعت إليها نفسُ مختار، ولعله لقَى من أهله فى دخولها عَنَتًا؛ وكيف

لا تعنَت الأسـر الطيـبـة، فى مثـل تلك الأيام، إذا رأت ولدها يميل عن طريق الحـقـوق أو الطب أو الهندسـة إلى طريق لا ينتـهى بسـالكهـا إلا أن يكون «مصوراتى» أو حفارًا أو نقاشًا؟!

وعلى كل حال فقد تمّ لمحمود مختار ما أراد من دخول مدرسة الفنون الجميلة؛ أو بعبارة أحكم ، لقد تمّ ما أراد الله لمصر من أن تَرى نابغة من أبنائها يخلِّد نهضتها على تطاول الأعصار!

وفى هذه المدرسة جعلت موهبةُ مختار تتجلَّى ، وجعل أساتيذه يخصُّونه بعنايتهم لما أنِسوا فيه من مخايل تدل على مستقبل عظيم ، وبقى هو ، طول مدة الطلب، مجليًا لا يلحق: إكبابًا على الدرس؛ واجتهادًا فى التمرين، وتوافيًا لكل دقيق من ملاحظات الأساتيذ؛ حتى إذا برع بقدر ما يمكن أن يَبَرع طالبٌ فى مدرسة الفنون الجميلة فى مصر رأى أن ظمأه للفن لا ينقَعه إلا أن يغترفه من أصفى ينابيعه ، فشخص من فوره إلى باريس وانتظم فى أعظم معاهدها، أشخصه إليها كذلك سمو الأمير يوسف كمال؛ وظلّ يتعلم على أكبر أساتيذها عشر سنين متواليات ما أحسبه انحدَر فى خلالها إلى مصر مرة واحدة ، واجتمعت شهادة أقطاب الفن هناك على أن هذا الفتى «المصرى» ولا فخر ينبغى أن يُكتبَ فى جريدة كبار المثَّالين، ويُعهدُ إليه فى معهد «جريڤان» بمنصِب كبير، وما كان هذا ليسوغ لأجنبى قط لولا نبوغ مختار الذى أوفَى على كل تقدير.

ويشاء الله لمصر أن تنبعِث ، ويشاء لها نهضة قوية يلتفت لها العالم كله ، فتثور موهبة مختار هناك وتأبى ثورتها أن تهدأ إلا إذا كَشَفَت سرَّ أبى الهول الذى ظل محقونا فى أطواء صدره المقبوض آلافَ السنين ، وإذا أبو الهول ناكِسُ الرأس من وجد وأسى على مصر الأسيرة العانية ، وإذا أبو الهول يرفع رأسه وينبعث ، لأن مصر نهضت تفُك أغلالها لتسعى فى أرض الله سعى الأحرار.

وكذلك خرج تمثال «نهضة مصر» فتاة فلاحة تبعث أبا الهول فيتحفز للوثاب، ويتهيأ للغِلاب.

وما كاد مختار يَعرض تَمثاله فى «صالون باريس» حتى هُرع إليه كبار رجال الفن وأقبلوا على «المثَّال» المصرى بأتم الهناء والإعجاب، وتطايرت الأخبارإلى مصر فسرعان ما اجتمع من شبابها كلُّ نَدب وطنى نَجيد، وسرعان ما نَدَوْا بالأموال واستندَوْا أبناءَ الوطن ليسجلوا «نهضة مصر» ويرفعوا تَمثال مختار ويرفعوا معه اسم مواطنهم النابغة مختار فجمعوا آلافًا من الدنانير إذا لم تُغْن فى العمل الجسيم فقد مهدت السبيل لأن تتولاه حكومة الشعب، ومن حق حكومة الشعب أن تتولاه.

وقد مضى العمل في تمثال «نهضة مصر» جدًا، بمعونة الحكومة وعَطف الأمة؛ وهو الآن يستشرِف بفضل الله للتمام.

وإذا كان مختار قد لقى بادئ الرأى تجنّيًا وعنتًا من الدَّهماء وأشباه الدهَماء، فتلكم سنة الكَون فى هؤلاء؛ وهل قام فى الدنيا مصلح إلا قاموه واعترضوا سبيله؟ وهل نبغَ فيهم نابغ إلا مَلَكهم الحسد من كل جانب فمضوا يتنقَّصونه بكل ما أحرزوا من جهل وتضليل؟.

ولقد تظاهر الجهل والحسد جميعًا على تمثال مختار، أما الجهل فمن أولئك «العلماء الأقطاب» الذين تراهم يقضُون بياضَ نهارهم وسواد ليلهم على مُتون القهوات العامة، أَكْفاء لأن يفهموا كل نظرية، ويُبتُّوا فى كل قضية، بحيث لا تخفى عليهم خافية من دقائق الفَلَك والطب والهندسة والسياسة وعلوم القانون وفن تعبئة الجيوش «التكتيك» وكل ما تنقطع دونه جهود فحول العلماء فى جميع العالم !! وأما الحسد فمن أولئك الذين يصابون بضعف الهمة وقوة الشهوة، وهم يأبَون إلا أن يكونوا عظامًا إذْ لم تُعدّهم مداركُهم ولا مساعيهم فى الحياة لعظيم.

تظاهر هؤلاء وأولئك على مختار وعلى تمثال مختار فانطلقوا بكل ما فيهم من «ذكاء» وإخلاص يتنقّصونه ويتحيفون من قدره؛ ومن الجهة الفنية ما شاء الله أيها الجِدعان!!

وسـار هـذا الروح الخـبيث فى البلد تَعْضُده دسـائس ممن أَدلَى إليـهم الزمن «الخـائر» بمناصب لها شـأن فى بعض الحكم ولهـا جـميع الشـأن فى أمر التمثال، فما زالوا يدافعونه ويعترضونه بألوان العواثير، ومختارٌ ساكن سكون الواثق بأن عبقريته وحدَها كُفءٌ لما أعد الحسدة وتفَيهق الجهال!!

وشاء الله أن تُقدَر هـذه العبقرية قَدْرها، وأن يقرر مجلس النواب، بين التهليل والتصفيق، فرضَ المال الضخم لإتمام تمثال «نهضة مصر» وكذلك تمّ الانتصار لمختار، وإن شئت قلت تم الانتصار للعبقرية الفخمة على حسد الحَسَدة وعلى جهل الجُهال.

وتَظَفر مصر أخيرًا بمثّال نابغة من بنيها، وأولئك الذين لا يطيقون أن يسمعوا مقالة الخير فى أحد من مواطنيهم، قد أمست أنوفهم فى الرَّغام.

وفى الوقت الذى كان يُنكر فيه عبقريُّو «القهوات» على مختار خَطَر فنه وخطر أثره. كانت تترادف عليه الدعوات من أكبر معاهد الفن فى أوربا لتستثمر موهبته فى عملها الجليل إذا يأبى مختار أن ينصرف عن تمثال «نهضة مصر» فى سبيل المال وما هو أعز من المال.

وحسبهُ من الجزاء على هذا التمثال، أنه مخلد نهضة مصر على تطاول الأعصار والأجيال.

فهناء ثم هناء «ياسى مُخطار» !

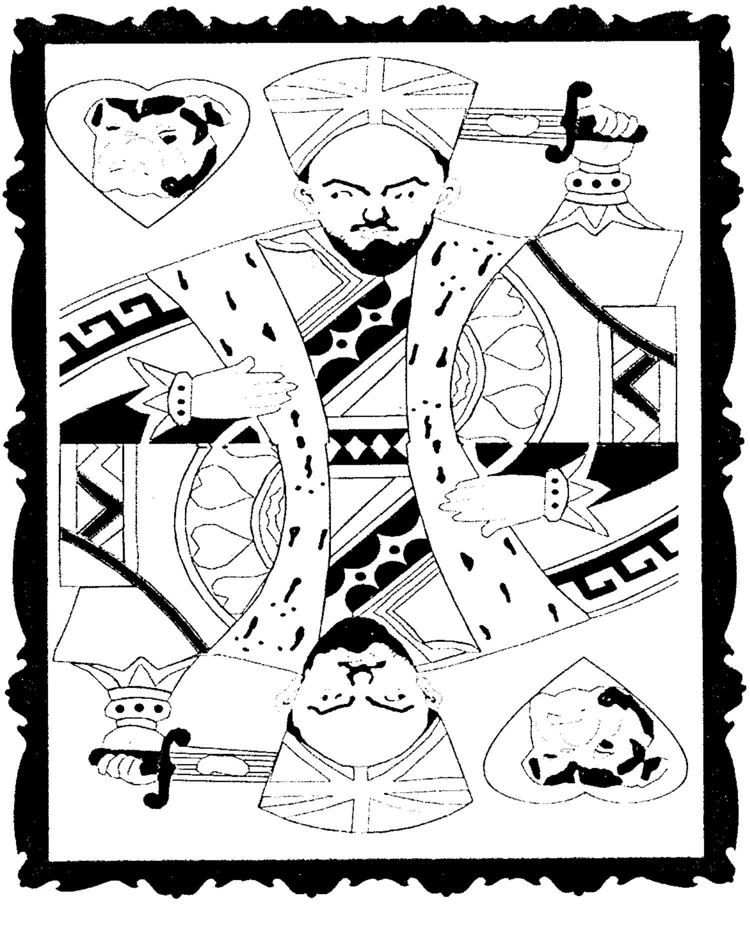

الشيخ .. (١)

ومالى لا أَمـزَحَ وقد وكان رسول الله ﷺ يَمْزَح، ولكن لا يقول إلا حقًا (٢) وسأمزح الليلة، وسأحاول إن شاء الله ألاّ أقول إلا حقًا . سأمزح هذه الليلة لأنى أجد فى نفسى غِبطةً ومراحًا ونزوعًا إلى المزح، وسأفعل فى غير تطرُّف ولا عبَث.

على أننى لا أجتثُّ الكلام اجتثاثًا ، ولا أُطلِق موضوعَ حديثى افتلاتًا، وإنما ألتمس له شخصيةً أو شخصياتٍ جليلة عظيمة أخطأها الكُتّابُ وتجاوزها المؤرخون ، وأخشى أن يتمادى الزمن فتَطْوي الأيام خبَرها، ولا تقْدُر نواشئ الأجيال خطرها، وهذا ظلم لها وللتاريخ معًا.

صديقى أو غير صديقى أو هما معًا ، الأستاذ الشاب أو الكهل أو الشيخ أو كل أولئك فى وقت واحد ، الشيخ أو السيد فلان..!

وأنا أشهد أنه ما اطَّلع على مجلسى إلا حللت له الحَبْوَة (٣)، ولا جلس إلىَّ إلا آثرته بتِكرمتى ، ولا أرسل يده إلى إلا أسرعتُ بتقبيلها، لأنى أرى فى الشيخ عظيمًا وإن لم ير غيرى أن فيه عظيمًا.

هو شيخ طريقة، وهو على صداقته وملازمته لشيخ مشايخ الطرق لا ترى، على ما يزعم شانئوه (٤) لطريقته فى سجلات مشيخة الطرق الصوفية عينًا ولا أثرًا ! ثم هو رجل جمع بين أقصَى مطالب الدنيا وأقصى مطالب الدين، فتراه كما يَظهر الأصيلَ فى حلقة الذكر يظهر العِشاءَ فى بار «أرستومين» !

---

(١) نشرت بجريدة السياسة فى إحدى (ليالى رمضان) سنة ١٣٤٣هـ.

(٢) سبق تخريجه في المقدمة .

(٣) الحبوة : الاحتباء، يقال: حلَّ فلان حبوته ، وهو ما يحتبى به من ثوب وغيره.

(٤) الشانئ: المبغض والكاره.

ثم هو سعدى ، وعدلى ، وحردستورى ، وحزب وطنى ، واتحادى ، ومحايد، ومستقل، وغير هؤلاء جميعًا !

ثم هو لا يَفترُ عن أداء حقوق القصر، ولا ينى عن التوافى فى كل موسم لدار الوكالة الإنجليزية، ولا يترك جريدة السياسة إلا إلى (بيت الأمة)!

ثم هو يُحسن العربية ويُحكم الإنجليزية فلا تعرف إن كان غربيًا مستشرقًا أو كان شرقيًا مستغربًا!

ثم هو مصرى ، وهو فى الوقت نفس مَطَافُ الجالية الفارسية فى مصر يتحدّث على أمورها ويُدْلِى بمُهمِّها فى هذه البلاد ، فلا تعرف إن كان عربيًا مستعجمًا أو عجميًا مستعربًا!

ثم هو إذا تقفيَّت أصله وقَصَصْتَ منشأه ومَنْجَمَه رأيته من المنوفية، ومن الشرقية ؛ ومن البحيرة، ومن الدقهلية، ومن القليوبية، ومن الجيزة، ومن المنيا، ومن أسيوط، ومن جرجا، ومن قنا؛ هو من هؤلاء جميعًا، وهو يلاغى بلُغاهم جميعًا ، فترى فى لسانه لِين حديث أهل البحيرة ؛ وجُشوبة[1] منطق أهل الصعيد، فتسمعه إذا نادى (محمدًا) قال (يا محمّ) وإذا عبَّر عن الفم، قال (الخَشّم).

هو ولا شك عصبة أمم تجول فى قَفْطان وجُبّة!

لا أعرف رجلاً يُحصى من أسماء الناس وألقابهم وكُناهم ومعرفة من يلابس كل إنسان من أصدقائه وأصهاره وأحمائه مثل ما يحصى ذهن الشيخ. وأُقسم لو استعانت به مصلحة الإحصاء إذ تُقبِل على إحصاء أهل هذه البلاد لتغنَّت بعلمه وذاكرته عن خمسة آلاف شيخ حارة وعمدة بلد وسِجِلٍّ قديم فى الدفترخانة، وموظفٍ طواف فى القرى والدَّسَاكر لجمع المعلومات،وإثبات الأسماء والصفات.

(١) الجشوبة: الخشونة فى الكلام والجفوة فى المعاملة.

وإذا حضَرَك فى هذا المقام أن الشياطين تتشكل فلا يذهب عنك أن الملائكة كذلك تتشكل، وأن أولياء الله يتشكلون ، وللإقطاب والأَبْدَال ، فى التشكل أحاديثُ طوال!

وإذا كنا نحتفل فى هذه الدنيا بشخصية واحدة ونتَّخذها موضعَ الحديث والتحليل والتمثيل فكيف بسبع وثمانين شخصية قوية قد اتسقت كلُّها لرجل واحد !

ليس على الله بمُستَنْكرٍ أن يجمع العالم فى واحدِ

وأُقسم ثانيًا لو أن صاحبنا قد نَجمَ فى عهد الجاحظ أو اطَّلع عليه عِلمُ كارلَيْل لخُصَّت به الرسائل وأُفرِدَت له الأسفار، ولكن أنَّى لنا جزالةُ قلم الجاحظ أو دقة ذهن كارليل لنقول فى الشيخ كلَّ ما ينبغي أن يقال فيه ؛ وإذا كنا عاجزين عن تَقَصِّى جميع عبقرياته الحِسان، فلا أقلَّ من أن نُلمَّ بفضائله فى ليلة من «ليالى رمضان» !

---

(١) الأقطاب عند الصوفية: هم الدعائم التي يقوم عليها صرح الوجود، وهم أعلى درجات الواصلين ، ويسميهم الحكيم الترمذى : الأمناء. أما الأبدال : فجمع بدل، وهى إحدى المراتب فى الترتيب الطبقى للأولياء عند الصوفية . انظر معجم ألفاظ الصوفية (صـ٢٢، ٢٣٥).

شيخ السوء

لقد دُهى هذا البلدُ بشيخ رومى التَّبْعة ، ألمانى الطَّلعة، إنجليزى النزعة؛ له وجه كسنام البعير، ووجنتان كأنما استُعيرتا من نار السعير، يفَرقُ بينهما مَنْخِران غليظان يقذِفان بالحُمم [1]، ويرَوحَان على جليسة بأخبث من ريح الرِّمم ، ودونهما فمٌ قد افتن الشيخ فى إحكام دباغة، وتجويد أصباغه؛ فإذا راعتك منه حُمرة الشِّفَآه، فاعلم أن ذلك من صنعة «دلمار» لا من صنعة الله، وله عينان دَقَّتا عن الأنظار، فلا تستكشفهما العيون إلا بمنظار؛ على أنهما أبصَرُ من زَرقاءِ اليمامة، وهيهات أن يُخطئهما موقع الدِّرهم من هُنا إلى يوم القيامة ، وله عُنُقٌ قد رَهَّلتْ جلده السنون الطِّوال ، ولولا «البودرة» تُمسكه لَسَال!

ولقد اطلع الشيخ على السبعين ، ولكنه لا يرى شيئًا من العاب [2]، فى أن يبرز فى دلّ الناهد الكَعَاب؛ فلا تراه إلا مُرَجَّل اللِّمة [3]، (مُهَنْدم) العمة؛ يجول فى قَفطان كأنما قُدَّ من فِرنِد سَيف، أو نُسج من خيوط الطَّيف، فترى أحمره يَسيل فى أخضره ، وأزرقه يموج فى أصفره؛ يترقرق فيه مثلُ العَسجد المذاب، أو شُعاعُ الشمس إذا تهيأت للاغتراب؛ وقد أمعنَت «الخياطة» فى تقوير أعلاه ، فانحسر من صدر الشيخ على مثل المرآة؛ وقد أطلّ على حِفَآفيه [4] نَهْدانِ كأنما قاما على حراسة هذا الغَدير الرقْراق،

---

(١) الحُمَمُ: الفحم ، والرماد، وكل ما احتراق من النار ، واحدهُ : حُمَمَة.

(٢) العاب : العيب.

(٣) اللِّمَّة : شَعْر الرأي المجاوز شحمة الأذنين ، جمعه لِمَّ ، ولِمام.

(٤) حِفَافا الشىء: جانباه.

من أعين الحسّاد وشِفاه العشّاق؛ ومن دونهما منطقة (حزام) قد شُجِّرت بالأفنان[1] والأوراق، وحلّقت على جَدَاولها كلُّ سَجُوع من ذوات الأطواق؛ وقد تأنقَّ الشيخُ به فى تكوير أردافه، وتدوير أعطافه[2]، فما تدرى ، إذا ما رأيته ، أأنت فى «حضْرةَ» شيخ عظيم، أم فى مجلس غانية فى «الأُلدرادو» القديم؟!

أما الجُبّة – وقاك الله الخبيث ، وعصمك من فتنة التَّخنيث- فهى من «الموسلين» ، أو «الكريب چورچيت» أو الكريب دى شين» ؛ وأما ألوانها فالوردى ، أو البنفسجى أو «التانجو» أو «البلوكانار»؛ ولقد اختلط رداء الشيخ على العيون، واستعصى علمه على متناول الظنون ؛ فما تدرى أيخُبُّ فى عباءة ، أم يُجلّى على الناس فى مُلاءة؛ أما هذا الذى غاب علمه عن النفوس ، فتفصيله عند مدام روا أو مدام كَلموس [3].

---

(١) الأفنان : الأغصان المستقيمة من الشجرة، وفى القرآن : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾.

(٢) الأعطاف : جمع عِطْف ، وهو الجانب ، ومن الإنسان من لدن رأسه إلى وركه، ويقال : ثنى عِطْفه : أعرض ومَرَّ ينظر فى عِطفه معجبًا بنفسه، وفى القرآن : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

(٣) خياطتان شهيرتان فى هذا العصر.

■ تمت دراسته والتعليق عليه عشاء السبت الثامن من ذى القعدة ١٤٢٦هـ الموافق العاشر من ديسمبر ٢٠٠٥م، ولله الحمد من قبل ومن بعد، وهو وحده الموفق والمعين، عادل عبد المنعم أبو العباس القاهرة – بنى مجدول.